توصيات الخبراء حول لغة تدريس العلوم الصحية بالمغرب

خلال المؤتمر الوطني للجمعية المغربية للتواصل الصحي

الدكتور الحبيب بنعدية
أخصائي أمراض الجهاز الهضمي

الدكتور الحبيب بنعدية، الأستاذ أحمد عزيز بوصفيحة
السبت 18 أكتوبر 2014
كلية الطب والصيدلة بالرباط

تحت الرئاسة الشرفية لوزير التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر وبتنسيق مع معهد الدراسات والأبحاث للتعريب والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - وبحضور السادة عمداء كليات الطب والصيدلة بكل من الرباط والدار البيضاء وفاس وبحضور السيد عميد كلية طب الأسنان بالدار البيضاء، نظمت الجمعية المغربية للتواصل الصحي مؤتمرها الأول في رحاب كلية الطب والصيدلة بالرباط تحت عنوان "تدريس العلوم الصحية بأية لغة ؟" لإثارة النقاش والبحث العميقين حول هذا الموضوع المهم والحضاري، والمثير في نفس الوقت لما فيه من أفكار واقتراحات وتطلعات تلتقي أحيانا وتتقاطع أخرى.

لذلك استدعت الجمعية المغربية للتواصل الصحي أساتذة وخبراء وأخصائيين في مجالات عدة مرتبطة بالموضوع، وقد شمل البرنامج ورشتين تفاعليتين : 1. المجلة الصحية المغربية: الحصيلة والآفاق، 2. التعليم الصحي بالمغرب بأية لغة، ثم سبع محاضرات حسب البرنامج رفقته.

وقد حرصت الجمعية على أن توسع المشاركة فدعت أساتذة أطباء من دول عربية عدة : الجزائر، تونس، ليبيا، موريتانيا والبحرين، لهم رصيد علمي وفكري ومعرفي في هذا المجال كما ركزت الجمعية على إشراك العنصر الطلابي لأنه معنِيٌّ أساسا بهذا الأمر ولما يمكن أن يمثله من قوة اقتراحية.

ومن خلال العروض القَيِّمة والنقاشات المستفيضة التي عرفها المؤتمر، في إطار الورشات أو المحاضرات المقدَّمة، وكذا الاقتراحات والملاحظات التي قدمها المشاركون في المؤتمر، أمكن الخروج بمجموعة من التوصيات نوردها فيما يلي :

في البداية انكب الخبراء على مناقشة الكلمة القيمة التي ألقاها السيد وزير التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي الأستاذ لحسن الداودي التي أكد خلالها على أمرين أساسين : أهمية التدريس باللغة الوطنية وخاصة اللغة العربية لما لها من رصيد كبير في المجال الطبي، ثم فكرة تدريس العلوم الصحية باللغة الإنجليزية لأنها لغة مرجعية في ميدان العلم والتكنولوجيا وبالخصوص في المجال الصحي وكذلك لأنها لغة الانفتاح المعتمدة دوليا في المؤتمرات والمجالات الصحية.

وبعد مداولة هذه الفكرة القيمة للسيد الوزير خلص الخبراء إلى أن تَمَكن الطالب من دروسه وتخصصِه يعتبر أولوية تأتي قبل أهمية الانفتاح على العالم، كما أكد الخبراء على أن اللغة الوطنية هي وحدها التي تمكن الطالب من أعلى درجات اكتساب المهارات النظرية والتطبيقية في كل التخصصات العلمية وخاصة في المجال الصحي، كما أن التدريس باللغة الوطنية سيجعل من مهنيي الصحة أكثر إسهاما في التوعية الصحية للمرضى وللمجتمع بصفة عامة.

وهكذا أصدر المشاركون التوصية التالية :

التوصية 1 : "ضرورة تدريس العلوم الصحية باللغة العربية لتمكين الطلبة من أعلى مستويات التحصيل والاستيعاب لتخصصاتهم إلى جانب دعم تدريس اللغة الإنجليزية في كل المستويات من الابتدائي إلى المستوى الجامعي حتى يتمكن مهنيوا الصحة من الانفتاح على العالم في هذا المجال".

ولتدريس العلوم الصحية باللغة العربية أكد السيد الوزير على أهمية توفير المراجع الضرورية للتكوين الجامعي في المجال الصحي، وبعد نقاش

مستفيض خلص الخبراء إلى أن المراجع العلمية تنقسم إلى مراجع أساسية وأخرى متخصصة.

فأما المراجع الأساسية التي يلجأ إليها الطالب لدعم استيعابه للدروس النظرية التي تُقدَّم بالكلية والتداريب التطبيقية بالمستشفيات والمختبرات، فإن هذه المراجع يَسهُل تحضيرها باللغة العربية في سنة أو سنتين من طرف أساتذة الشعب الصحية، خاصة وأن نسبة المصطلحات العلمية لا تتعدى 5 بالمائة من محتويات الكتب الأساسية والمتخصصة في المجال الصحي على المستوى العالمي. وقد أكد جل أساتذة الطب والصيدلة الحاضرون عن استعدادهم للإسهام في إنجاح هذا المشروع القيم، كما أكد الخبراء المغاربيون من : تونس، المغرب، الجزائر، موريتانيا عن استعدادهم للدفاع عن هذه التوصية في بلدانهم لمشاركة زملائهم في إعداد المراجع الأساسية للتكوين الصحي الجامعي الأساسي بالمغرب والمغرب الكبير.

أما فيما يخص المراجع المتخصصة والتي يلجأ إليها مهنيوا الصحة بعد تخرجهم، فقد خلص الخبراء إلى:

- أن الدول المتقدمة في المجال الصحي والتي تدرس أغلبُها باللغة الوطنية (غير الإنجليزية) تعتمد بشكل كبير في مجال التكوين الصحي المستمر بعد التخرج على المجلات الصحية المتخصصة المكتوبة بالإنجليزية، كما تتوفر لدى الخريجين الكفاءة في اللغة الإنجليزية، وبالتالي فإن مهنيي الصحة في المغرب إذا تَلقّوا تكوينهم الأساسي باللغة العربية يمكنهم أن يسايروا التطور العلمي في مجالهم إذا كان لهم مستوى متميز في اللغة الإنجليزية.

- يمكن إصدار المراجع المتخصصة في المجال الصحي باللغة العربية خلال 3 إلى 5 سنوات مما سيجعلها إلى جانب المراجع الإنجليزية أحسن مُعِين للتكوين الصحي المستمر واكتساب التطورات السريعة التي يعرفها هذا المجال.

وهكذا خلص الخبراء إلى التوصية التالية :

التوصية 2: "سهولة الشروع في إعداد المراجع الأساسية بالعربية في المجال الصحي الأساسي الجامعي (قبل التخرج)، إذ قدَّر الخبراء مدة سَنة أو سَنتين لإعداد هذه المراجع الأساسية. أما مراجع التكوين الصحي المستمر (بعد التخرج) فيمكن للطبيب والصيدلاني الدارس لتخصصه بالعربية والمتمكن من اللغة الإنجليزية أن يتابع وبسهولة التطور العلمي في مجاله من خلال المجلات والمراجع الأساسية والتي تصدر أغلبها باللغة الإنجليزية".

كما أوصى الخبراء بإنشاء مؤسسة متخصصة في الإصدار والنشر في المجال الصحي باللغة العربية.

فيما يخص لغة تدريس العلوم الصحية في العالم فقد أظهرت العروض المقدمة أن الدول العشرين المتقدمة في المجال الصحي من حيث النشر في الدوريات العلمية المتخصصة تدرس كلها بلغتها الوطنية وإذا ما استثنينا إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية فإن 18 دولة المتقدمة لا تدرس باللغة الإنجليزية كألمانيا وروسيا واليابان وكوريا الجنوبية... بل بلغتها الوطنية.

وهكذا أصدر المشاركون التوصية التالية :

التوصية 3 : "إن تدريس العلوم الصحية بالإنجليزية ليس ضرورة لبلوغ مستوى الدول المتقدمة في المجال الصحي لأن جل هذه الدول لا تدرس العلوم الصحية باللغة الإنجليزية وإنما بلغتها الوطنية".

كما انكب المشاركون والخبراء والأساتذة والمهتمون والطلبة على مناقشة الكلمة القيمة التي ألقاها السيد عميد كلية الطب والصيدلة بالرباط الأستاذ محمد العدناوي منسق عمداء كليات الطب والصيدلة بالمغرب، حيث ثمن الحاضرون الأفكار القيمة التي طرحها السيد العميد كما ناقشوا مسألة وجود عدد كبير من الطلبة الأفارقة الفرنكفونيين في كليات الطب والصيدلة بالمغرب، ونظرا لأهمية دور المغرب الريادي والمستقبلي في المساهمة بالتنمية بالقارة الإفريقية وخاصة في إفريقيا الغربية الناطقة باللغة الفرنسة فقد خلُص المشاركون إلى التوصية التالية :

التوصية 4 : "لدعم الدور الريادي للمغرب في إفريقيا وخاصة الدول الناطقة باللغة الفرنسية يمكن الإبقاء على تدريس العلوم الصحية بالفرنسية في بعض كليات الطب والصيدلة بالمغرب، لكن تدريس العلوم الصحية باللغة العربية يعد الأنجع للطالب المغربي في استيعاب وامتلاك مهارات تخصصه وكذلك لجعله فعالا في التوعية الصحية التي تعد ركيزة أساسية في التنمية البشرية".

كما ناقش المشاركون خلال أشغال المؤتمر العوامل الأساسية للانتقال إلى تدريس العلوم الصحية باللغة العربية بالمغرب وخاصة من خلال محاضرتي الأستاذ محمد الفران مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب والأستاذ محمد كريم بوزوبع المشرف على مختبر هندسة اللغة العربية بالمدرسة المحمدية للمهندسين، وقد خلص المشاركون إلى أن ظروف نجاح الانتقال إلى تدريس العلوم الصحية بالمغرب متوفرة ومن أهمها:

تدريس العلوم باللغة العربية في التعليم الابتدائي والثانوي وتَوفر المغرب على معاهد متخصصة في ترجمة المصطلحات التقنية وعلى رأسها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وكذا وجود عدة مختبرات في مجال هندسة اللغة العربية في المغرب والتي حققت تفوقا في مجال محركات البحث العلمي على شبكة الانترنيت والترتيب المعلوماتي للمعاجم، وهكذا أصدر المؤتمرون التوصية التالية:

التوصية 5 : "إن الظروف الحالية بالمغرب مساعدة للانتقال إلى التدريس باللغة العربية في المجال الصحي وذلك لأن التكوين العلمي انطلاقا من الابتدائي وإلى الثانوي هو باللغة العربية مع وجود معاهد عليا متخصصة في تعريب المصطلح العلمي، وكذلك وجود مختبرات مغربية متطورة في مجال هندسة اللغة العربية، كما أوصى المشاركون بإنشاء لجنة وطنية تضم خبراء في تدريس العلوم الصحية وآخرين متخصصين في اللغة العربية وكذلك أخصائيين في مجال هندسة اللغة العربية تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر كي تشرف على وضع خطة منهجة ومتدرجة وتنفيذها للانتقال إلى تدريس العلوم الصحية باللغة العربية".

كما ناقش المشاركون تأثير تدريس العلوم بلغة أجنبية على ثقافة مهنيي الصحة بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة، خاصة من خلال محاضرتي الأستاذ أحمد بن عبد العزيز من تونس والأستاذ عبد المجيد طربياق خبير بمنظمة الإيسيسكو، وخلصوا إلى التوصية التالية :

التوصية 6 : "ضرورة تدريس العلوم بصفة عامة والعلوم الصحية بصفة خاصة باللغة العربية من أجل تفادي الاغتراب القيمي للطلاب، فالعقل والوجدان لا يتوحدان إلا عندما تكون لغة العلم هي لغة الثقافة والهوية، وبالتالي يصبح التوجه نحو تعريب العلوم الصحية ضرورة حضارية ملحة".

بعد ذلك ناقش الحضور المحاضرتين القيّمتين للأستاذ يحيى بنسودة - أستاذ الصيدلة بكلية الطب والصيدلة بالرباط - ومحاضرة الأستاذ مولاي أحمد العراقي- أستاذ سابق بكلية الطب والصيدلة بالدار البيضاء - حيث اتضح أن منهجية الانتقال إلى التدريس باللغة العربية مسألة يَسيرة إذا تَمَّ اعتماد خطة ناجعة يشكل تعريب المصطلح التقني الطبي والصيدلي مرحلة أساسية فيها. كما برهنت على ذلك المبادرة القَيِّمة للأستاذ يحيى بنسودة حيث يُوفر للطلبة معجماً مبسطاً عربي- فرنسي- إنجليزي للمصطلحات الواردة في دروسه. كما عَلِم الحاضرون بوجود عدة مبادرات من هذا القبيل، تتراوح بين ترجمة المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية وإصدار الدروس باللغتين العربية والفرنسية وكذلك إصدار كتب متخصصة باللغة العربية، مثال ما قام به الأستاذ مصطفى محفوظ - أستاذ بكلية الطب والصيدلة بالرباط - والذي نال من بين يدي السيد وزير التعليم العالي الجائزة التكريمية للجمعية المغربية للتواصل الصحي على كتبه المتخصصة في جراحة العظام والمفاصل باللغة العربية. وقد أفضى النقاش إلى إصدار التوصية التالية :

التوصية 7 : "يجب تشجيع مبادرات إصدار الكتب باللغة العربية وكذا ترجمة المصطلحات والدروس إلى العربية والإسراع في وضع منهجية محكمة للانتقال التدريجي في سنتين أو ثلاث سنوات إلى تدريس العلوم الصحية باللغة العربية، خاصة من خلال البداية بإنشاء مسالك اختيارية للتدريس باللغة العربية في بعض كليات الطب والصيدلة على غرار ما سيشرع فيه في القريب من إنشاء مسالك للتدريس باللغة الإنجليزية في بعض كليات الطب والصيدلة بالمغرب".

من خلال نتائج الورشتين اللتين أطرهما كل من الأستاذ محمد البياز - أستاذ بكلية الطب بفاس ورئيس هيئة تحرير المجلة الصحية المغربية - والأستاذ أحمد بن عبد العزيز - أستاذ بكلية الطب بسوسة (تونس)- تحت عنون: "المجلة الصحية: الحصيلة وآفاق" و"التعليم الطبي بأية لغة ؟"، أوصى المشاركون ب:

التوصية 8: "العمل على تطوير المجلة الصحية المغربية - لسان الجمعية المغربية للتواصل الصحي- من حيث المضمون وذلك بإغنائها بعدد أكبر من المقالات العلمية مع تنويع التخصصات ووضع آلية لاستقبال الملاحظات والاقتراحات من القراء، وكذلك السَّعي إلى إضافة مجلات أخرى متخصصة تساعد الاتجاه التعريبي للعلوم الصحية والعمل على توسيع مداها إلى دول المغرب العربي".

كما عرف المؤتمر مناقشة علمية رصينة ومستفيضة، شارك فيها خبراءُ في تدريس العلوم الصحية وخبراءُ في مجال اللغة العربية وهندستها وفاعلون جمعويون بالإضافة إلى طلبة من كليات الطب، وخاصة بعد الاستماع إلى محاضرة الأستاذ فيصل عبد اللطيف الناصر (من دولة البحرين) بعنوان : "آفاق تدريس العلوم الصحية باللغة العربية في الوطن العربي"، حيث اتضح أن الإقدام على هذا المشروع الحضاري ضروري لتعزيز وتحصين هويتنا الحضارية وللمساهمة إلى جانب الحضارات الأخرى في تقدم الإنسانية، وأن الإقدام على هذا القرار يتطلب قرارا سياسيا وتنفيذا وتنزيلا من طرف حكومات معتزة بانتمائها الحضاري وواعية بأهمية اللغة الوطنية في استيعاب العلوم بصفة عامة والصحية منها بصفة خاصة بالإضافة إلى ضرورة التكوين باللغة العربية ليساهم مهنيوا الصحة في التوعية الصحية والتنمية البشرية. وهكذا أصدر المشاركون التوصية التالية :

التوصية 9 : "ضرورة اتخاذِ قرار سياسي لإنجاح تدريس العلوم الصحية باللغة العربية مما سيعزز الكفاءات المهنية والتواصلية لدى الطبيب والصيدلاني ومهنيي الصحة لأن اللغة الوطنية هي الأفضل في استيعاب الدروس وامتلاك المهارات المهنية".

كما ثمن الحاضرون مشاركة دول المغرب الكبير من خلال خبراء وأساتذة من تونس والجزائر وموريتانيا وكذلك أساتذة ومختصين في مجالات علمية أخرى كالهندسة والكيمياء والفيزياء مما دعا إلى إصدار التوصية التالية :

التوصية 10 : "ضرورة إغناء المجتمع المدني بجمعيات تخصصية في المجالات العلمية الأخرى في المغرب الكبير، تحْذُوا حَذْوَ الجمعية المغربية للتواصل الصحي وتشكل قوة اقتراحية داعمة لأصحاب القرار في التعليم العالي والبحث العلمي في الفضاء المغاربي".

وفي الختام فإن المطالبة بتدريس العلوم عموما والصحية منها خصوصا باللغة الوطنية مطلب تتفق عليه المنظمات التربوية والتعليمية العالمية ومعاهد البحوث المختصة والمنظمات الدولية ومنها منظمة الصحة العالمية حيث انتهى المكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية إلى تحديد العديد من المشكلات والسلبيات في التعليم الطبي الحالي في الدول العربية المعتمِدة أساسا على اللغة الفرنسية أو الإنجليزية، مما يُعيق التنمية الصحية بهذه الدول وأهم عناصر هذا التشخيص :

- ارتفاع كلفة التعليم الطبي بلغة أجنبية.
- اغتراب المتعلمين عن خصوصيات مجتمعاتهم.
- ضعف التواصل بين الطبيب والمريض وبين الطبيب وعموم المجتمع.
- إضعاف اللغة الوطنية مما ينعكس سلبا على تنمية المدارك وتطوير العلوم وكذا البحث العلمي.

لذلك أوصت منظمة الصحة العالمية باعتماد اللغات الوطنية في تدريس العلوم الصحية، كما أن الأبحاث والدراسات أظهرت أنه لا توجد دولة متقدمة تُدَرِّس العلوم الصحية بلغة أجنبية.